المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاخبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فحسب براءة منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المنتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم

(٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الاستفهام من ذوي الافهام

حضرة الدكتورين الفاضلين منشئَي المنتطف الاغر

ان القدماء والمحدثين قد وسعوا نطاق علم النحو اي علم العربيَّة حتَّى صار مقيداً بقواعد لا يتعداها واصول لا يتخطاها يعلم ذلك من اطلع على تآليف هؤلاء النحاة وكلهم اجادوا في التأليف واصابوا اكباد الحقائق وليس في تآليفهم فروق الاَّ الايجاز او التطويل والتقديم او التأخير

ولكن قرأت في كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق الذي الفهُ المرحوم احمد افندي فارس الشدياق الجمل الآتية وهي

قال الفراء اموت وفي قلبي شيء من حتَّى

ومات الكسائي وفي صدرهِ من الفاء العاطفة والسببيَّة والفصيحة والتفريعيَّة والتعقيبيَّة والرابطة حزازات ومات اليزيدي وفي راسهِ من الواو العاطفة والاستئنافيَّة والقسميَّة والزائدة والانكاريَّة صداع واي صداع ومات الزمخشري وفي كبدهِ من لام الاستحقاق والاختصاص والتمليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفي وغير ذلك قروح واي قروح ومات الاصمعي وفي عنقهِ من رسم كتابة الهمزة غدة

وحيث ان هؤلاء الاجلاء الذين يعدون على الاصابع قد تعسرت عليهم معاني ما ذكر آنفاً ولا بدَّ ان الذين اتوا بعدهم اوضحوا ما اشكل عليهم فهل من ذوي القرائح الرائقة والافكار الثاقبة مَن يتكرم بايضاح معاني الحروف المذكورة ليكون لهُ الفضل مدى الدهر ويكون قراء المنتطف الاغر لهُ من الشاكرين

الاسكندريَّة عثمان الوردان المصري

مكتبة الاسكندرية

قد اطلعت في باب المسائل من الجزء الثالث من منتطف هذه السنة على سؤال يتعلق باختلاف المؤرخين من عرب وافرنج في شأن مكتبة الاسكندريّة هل احرقت بامر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ام لا ووجدت حضراتكم قد رجّحتم في الجواب عنه انها تلفت قبل الفتح الاسلامي وما بقي منها تلف بعده واحلتم على كلام سهب في هذا الموضوع للمرحوم الطيب الذكر شفيق بك منصور ادرج في المجلد السادس من المنتطف

وقد رأيت في هذا الموضوع كلامًا نفيسًا موجزًا في الفصل الاوّل من الباب الاول من مقدمة تاريخ العائلة الكريمة المحمديّة العلويّة الذي كان قد شرع في تأليفه حضرة العالم الفاضل علي بك رفاعه وكيل نظارة المعارف سابقًا في مدّة جناب ساكن الجنان المغفور له الخديوي السابق (توفيق الاوّل) على اسلوب جليل مشتملاً على الحوادث المهمة والاعمال الكليّة مع ذكر ما نشأ عنها من التأثير في سياسات البلاد داخلاً وخارجًا ومدنيتها وعسكريتها وماليتها والروابط والعلاقات بين مصر واوربا وما تشاكل ذلك من الاحوال التي تسبب عنها قوة البلاد تارة وضعفها تارة اخرى ملتزمًا في ذلك ذكر كل عمل في تاريخ مدّة من صدر عنه مع مقارنة مدّته بمدة من قبلة ومقارنة عمومية بين جميع هذه المدد بفرض انها مدة واحدة وبين الحكومة الحاضرة من حيث اهيّة ما وصلت مصر اليه في الحال وما يكون نسبيو الوصول في الاستقبال

فاحببت انّ انقل منه هذا الكلام وابعثه به الى حضراتكم لنشره تتميمًا للفائدة ولكن لما كان الكلام في هذا الموضوع مرتبطًا بما قبله رأيت اثبات الكلام من اوّل الفصل المذكور لتفاسيره ونصه

الفصل الاوّل فيما كانت عليه مصر قبل الفتح الاسلامي وبعده على وجه الاجمال

قد قسم ارباب التاريخ من العرب والافرنج تقسيمًا اوليًا حالة مصر بالنظر الى سياساتها وانتقالاتها بحسب الازمان ارتفاعًا وانخفاضًا الى حالتين عظيمتين تفاوتتا تفاوتًا كليًا بتفاوت التأثير الحاصل في الاخلاق والعوائد والسياسة التابعة في تبادلها لتغاير القوانين والشرائع وهيئة الحكومة في هاتين الحالتين

الحالة الاولى ما كانت عليه مصر من وقت ان عهدت امة بين الامم مضبوطة تحت وحدة الحكومة وانتظام الى عهد الفتح الاسلاميّ الذي كان في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد اعتنى المحققون من مؤرخي اليونان والرومانيين ومتأخري الافرنج بالكشف

عن حقيقة حكومات هذه الديار وما كانت عليهِ في تلك الاعتصار على قدر ما وصل اليهِ امكانهم ما نقلوهُ بالتحرّي او استنزفوهُ بالتتبع او استكشفوهُ بالسياحة وجميعهم اشتغلوا انهاء في هذه الحالة وصلت الى ما لم يصل اليهِ غيرها من جلالة الشان وعزّة المكان حيث ان اهلها بعناية ملوكهم وحسن سياستهم رفعوا فيها اعلام مجدهم وبرهنوا على علوّ همهم واتساع دائرة معارفهم بما خلدوهُ من بدائع الآثار التي لم تزل بقاياها برهانًا كافيًا يطلب منا الاعتراف بان لنا نسبًا عظيمًا عظاميًا كما ان درجة الفلاحة والصناعة والتجارة بل سائر العلوم والفنون كانت في تلك الازمان على اكمل ما يكون باقبال الرئيس وقابلية المرؤوس فتبادل كلٌّ منهما منفعة الآخر واصبح كلاهما في رفاهيّة حال ونعومة بال وامن من زوال كما يدل لذلك كميّة الخراج الذي كان يؤخذ على سواد مصر بالاستحقاق فقد كان خراجها على عهد بعض الملوك مقدّرًا بما يساوي اربعين مليون ليرة انكليزيّة ووجوه صرف هذا الخراج في تلك الحكومات ما يدل على غاية العدل ومراعاة مصلحة البلاد حيث ان اغلبهُ كان يصرف في اوجهِ المنافع العموميّة من نحو حفظ النيل والقيام بشؤونهِ وتجديد الفروع المتفرعة منهُ لريّ كل جزء من احزاء الارض وتشييد الحصون والقلاع والمعاقل وقاية من العدوّ الى غير ذلك . ويدل لما ذكر ايضًا وفور عدد سكان البلاد اذ ذاك . وكما ان احوال داخليّة مصر كانت على ما ذكرناهُ كذلك كانت خارجيتها فان ملوكها كانوا مع سائر الممالك على عزّة ومنعة فما حام حول حماهم احد الاّ رجع راهبًا من سطوتهم ولا ذهب سفيرهم الى دولة الاّ عاد صادعًا بكلمتهم ولم تزل هكذا حافظة لدرجتها في الداخل والخارج الى ان تعاقب على ادارتها بعض عائلات اجنبيّة فسقطت من درجتها الاولى نوعًا وكذلك ضعفت همتها في الفلاحة والصناعة والتجارة الاّ انها لم تفقد حالتها الاولى بالكليّة بل بقيت فيها بقايا الفخر القديم لما ان هؤلاء العائلات كانوا مع جورهم وعسفهم يحترمونها فلا يقصدون بها تغيير العادات ولا اذلال النفوس الاّ بمقدار ما تخضع لسلطتهم فمهما وان تعاورتها ايادٍ شتّى وتناوبتها ادارات مختلفة الاّ انها حفظت متوسط احوالها ولم يتغير منهاج سيرها تغيرًا كليًا

وقد اجمع المؤرخون على انها وان تغلّب عليها كثير من العائلات الملوكيّة الاجنبيّة كالحبشة والعثم والروم الاّ انهُ لم يؤثر ذلك التغلب تأثيرًا كليًا في طباع اهلها وقوانينهم وعاداتهم وعباداتهم بل ما زالوا حافظين لجميع ذلك الى زمن دخولهم تحت سلطة دولة الرومان فحاول رؤساؤها تغيير كل من الديانة والعادات والآداب وتشتيت المكتبة الصغرى التي كانت قد تجمّعت بعد احتراق المكتبة الكبرى التي انشأها بعض ملوك

البطالسة ولذلك لم يبقَ عند الفتح الاسلامي من الكتب القديمة شيءٌ وقد وَهِم جماعة من المؤرخين لاسيما العرب في نسبة احراق المكتبة المصريّة الى عمرو بن العاص رضي الله عنهُ وذلك من وجهين . الاوّل ان القائل بنسبة ذلك اليهِ لا يقول بانهُ حصل حال غيظ الفاتحين وحدّة غضبهم عند الفتح الاسلامي بل يقول بان ذلك كان بعد تمام الفتح والاستئذان من امير المؤمنين وذلك بأباهُ ما عهد من افعال الصحابة وعلى الخصوص الخلفاء الراشدون في فتوحاتهم لان المعهود في طباعهم السليمة رضوان الله عليهم التحرّي والتثبت والاجتهاد في اقوالهم وافعالهم ولم يعلم من التاريخ ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنهُ قام عندهُ دليل على ان ما في جميع تلك الكتب مخالف للشريعة الغرّاء ولم يكن من نزعة الشريعة رفض كتب العقليات التي تتصافح يمينها بيمينها وحسبك حب المأمون وشغفهُ بترجمة ما هو الى الآن معدود من ينابيع امدادات المحدَثين بثمرات عقول الاقدمين وَهُوَ هُوَ من حيث متانة الدين وقوّة اليقين والمعاصر لكثير من الائمة المجتهدين . الثاني ان المعاصرين في ذلك الوقت من مؤرخي اليونان الذين كانوا احرص الناس على التشنيع بذلك لو حصل من مثل عمرو بن العاص لم يكن في تواريخهم ما يدل على حصول ذلك منهُ ولا من غيرهِ في ذلك الوقت وقد اجمع المتأخرون من المؤرخين المعوّل على تواريخهم ان التلف بالحريق أصيبت بهِ المكتبة الصغرى على عهد اليونان ثلاث مرّات كما أصيبت بهِ المكتبة الكبرى التي احترقت بعد ان جمع فيها البطالسة من علوم الدنيا ما لم يأتِ ولن يأتي نظيرهُ وقد انتصر كثير من الافرنج في مؤلفاتهم لعمرو بن العاص وانكروا نسبة ذلك اليهِ وذكر مضمون كلامهم والدي المرحوم رفاعه بك في الجزء الاوّل من تاريخ مصر الذي سماهُ انوار توفيق الجليل في اخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل . وقد اطلعني احد افاضل امراء العصر على مؤلف باللغة التركيّة مطبوع الفهُ بعض علماء الاستانة وجعل موضوعهُ عدم صحة نسبة ذلك الى هذا الصحابي الجليل و يغلب على الظن ان تعرّض مؤرخي العرب ومن تبعهم من الفرس وغيرهم لنسبة ذلك اليهِ انما هو لتحمّل الفخر الوهمي العائد من نسبة مثل هذا الامر الى فاتح اسلامي ظنًّا منهم ان ذلك واجب ديني يحمد عليهِ من قام بهِ فكانما كان اراد ان يمدح فذم او يرفع لواء الثناء فجذم ومن هذا جميعهِ يعلم ان لا صحة بالكليّة لهذه النسبة التي هي اشبه بالمسبة وصحائف اخبار الصحابة أجلّ من ان تسوّد بهذه المعابة اه المقصود منهُ . والذي في الجزء الاوّل من انوار توفيق الجليل نصهُ

" فجاء اخيلاس الى الاسكندريّة بجيشهِ وكان يبلغ اثنين وعشرين الف مقاتل ونصب

معسكره امامها وافاد الرومانيين ان تسكين الفتنة لا يكون بدون تسليم قلوبطره للاهالي ليتحكموا منها كما يشاؤن فلم يرض قيصر بتسليمها واختار الاقامة في الاسكندرية محصورًا او مسجونًا وآثر المكابرة الشديدة على تسليم هذه الملكة للاهالي يستبيحون دمها ورأى ان ذلك مخل بناموسه وموجب لانصافه بالخسة ودناءة الهمة فشرع اهل الاسكندرية في وضع يدهم على سفنه واستيلائهم عليها فلم يكتهم منها بل اضرم فيها النيران حتى انتشرت الحريقة منها الى القصر الملوكي واحترقت كتبخانة البطالسة الموصلة الى هذا القصر وقد سبق انهم جمعوا فيها عددًا كثيرًا من كتب الدنيا مع ما تجدَّد عندهم من التآليف العديدة ومن هنا يتضح ان نسبة حرقها الى عمرو ابن العاص بامر امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما انما هو من اشاعة المؤرخين الذين لا علم لهم بالحريقة المذكورة الواقعة في ايام البطالسة فلا معنى حينئذٍ لمن يشنّ الغارة باللوم على امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه بانه حرق كتب العلوم الاوليَّة"

وفي تاريخ مصر الحديث ربما كان الاقرب الى الصواب ان هذه المكتبة ومكتبة اخرى كانت في الاسكندريَّة قبلها ذهبتا فريسة النار وايدي الاشرار على عهد البطالسة ومن جاء بعدهم من الروم اثناء الحروب الاهلية ولم يبقَ منها شيء الى الفتح الاسلامي

ويغلب على الظنّ ان المجلد السادس من المقتطف غير موجود عند كثير من القراء الكرام وان نفوسهم متشوفة خصوصًا بعد الاحالة عليه الى مطالعة ما أُدرج ما فيه من الكلام المتعلق بهذه المسألة التاريخيَّة المهمة فان استحسنتم اثباته مع هذه النبذة كان ذلك تحقيقًا لامنيَّة كثيرين وجمعًا لاطراف الكلام في موضع واحد والرأي لحضراتكم

طهطا احمد رافع

[المقتطف] رأينا ان نجيب حضرة الكاتب الى ما طلب فادرجنا هنا ما ادرجناه في الصفحة ٥٨ من المجلد السادس بقلم المرحوم شفيق بك منصور وهو بنصه

"وعلى ذكر المكتبة المذكورة اقول ان اكثر المؤرخين لم يهتدوا الى الآن لمعرفة السبب الصحيح في احراقها ولقد كانت تحتوي على سبع مئة الف كتاب على الاشهر فقد ذهبوا فيها مذهبين احدهما ان عمرو ابن العاص (رضه) حرقها كلها بامر الخليفة عمر ابن الخطاب (رضه) وحجته ان عبد اللطيف الطبيب البغدادي وابا الفرج الحلبي مطران حلب قالا ان عمر بن العاص لما دخل الاسكندريَّة كان بها رجل يسمَّى يوحنا وكان حاذقًا فيلسوفًا فتعرَّف به وسرَّه عمرو لحذقه ومعرفته وصار له تردد عليه حتى قال له يومًا انك استوليت على الاسكندريَّة وعلى كل ما فيها من الاموال وغيرها وليس لنا ادنى مانعة في اخذك كل ما

اخذت من النافع لكم واما غير النافع كالمكتبة التي هنا فارجوك ان تدعها لنا فقال حتى استأذن امير المؤمنين فكتب اليه يستأذنه فيها فأجابه بما معناهُ ان كان فيها ما في القرآن المجيد فهو كفاية وان كان فيها خلاف ما فيه فلا حاجة لنا اليها وعلى كلا الامرين فاعدمها فعند ذلك فرّقها عمرو بن العاص في حمامات الاسكندريّة وكانت على قول بعضهم اربعة آلاف فصارت توقد منها مدة ستة اشهر

والثاني انهُ كان بالاسكندريّة بطرك يسمّى تيوفل في سنة ٣٩٠ ميلاديّة اعني قبل دخول عمرو بن العاص الاسكندريّة بثنتين واحدى وخمسين سنة وكانت هذه مصروفة لمحو الاديان المغايرة لدين المسيح (ع م) فعمل الطرق اللازمة لاضاعة تلك المكتبة حتى قال اوروز المؤرّخ بعد عشرين عامًا من اضاعتها رأيتُ بعيني رفوف القِطْر فارغة

ويقال ان حجة المؤرّخين المذكورين ضعيفة من وجهين الاوّل ان عبد اللطيف كان موجودًا سنة ٢٩١ من دخول عمرو بن العاص الاسكندريّة وكان قبلهُ عدة مؤرّخين ولم يقولوا قولهُ والثاني ان كتابهُ ليس معتمدًا في تاريخ الاسكندريّة لانهُ غلط فيها بعض غلطات منها قولهُ أن ارسطاطاليس كان قد درّس في مدرستها والحال ليس كذلك واما ابو الفرج المذكورُ فقد كان معاصرًا لعبد اللطيف وقد قال مقالهُ . ويقال ان احتجاجها بجواب الخليفة الى عمرو بن العاص باطل اذ قد قال ابن خلدون ان ذلك الجواب كان لسعد ابن ابي وقاص من اجل الكتب التي وجدها بالعراق فامرهُ امير المؤمنين باعدامها فاحرق بعضها واغرق البعض الآخر . ومن المحتمل ان الاسكندريّة كان قد بقي بها بقية من ذلك القِطر الذي اضاعهُ البطرك المذكور فلما دخلها عمرو بن العاص اعدم تلك البقية سواء كان من تلقاء نفسهِ او بأمر امير المؤمنين . اما قولها ان الحمامات صارت توقد منها مدة ستة اشهر فلا يخلو من المبالغة او ان الايقاد بها كان اشعالاً للنار فقط لا وقودًا اذ لا يمكن هذا . ثم اخذ كلٌّ من اهل المذهبين المذكورين يرد على الآخر تأييدًا لمذهبهِ بما يطول ايرادهُ

كلٌّ يؤيّد رأيهُ يا ليت شعري ما الصحيح

وما من احد من الشرقيين عندهُ الخبر اليقين فيوضحهُ بالاثباتات الصحيحة والدلائل القويّة فان هذه المسألة شاغلة افكار علماء اوربا وموضوعة لديهم موضع الاشكال